

## المحاضرة الثالثة:

## تاريخ الفكر الاقتصادي

( الفراعنة، اليونانيون، الرومان، المسلمون )

تمهيد:

## 1- الفكر الاقتصادي عند الفراعنة:

لم يصلنا الكثير عن الفكر الاقتصادي في مصر القديمة، حيث أن الحضارات الشرقية القديمة عموماً والحضارة المصرية خصوصاً لم تسهم في تاريخ الفكر الاقتصادي بأفكار واضحة حول السلوك الاقتصادي. حيث " كانت الدولة الفرعونية تمثل سلطة مركزية قوية في مصر - ذات أبعاد اقتصادية وسياسية وفكرية ودينية، فهي تمتلك وسائل الانتاج الرئيسية وبخاصة الأرض. وتعفي الطبقة الحاكمة والحاشية من الأعمال البدنية وممارسة النشاط الاقتصادي. حيث يقتصر عملها على الأعمال الفكرية فقط. وكان هناك نوعان من الملكية أولهما الملكية الفردية والتي تتوزع بين ملكية صغيرة وملكيات كبيرة، وكان حق المالك مطلقاً. وثانيها ملكية الانتفاع كأن يمنح بعض الموظفين حق الانتفاع بقعة أرض، بالإضافة إلى ذلك هناك ملكية مقيدة وهي عبارة عن أرض يتم إيقافها لأغراض المعابد وذلك من أجل كسب تأييد رجال الدين لهم. ( قريشي، 2008، ص 37) ومن بين أهم الافكار الاقتصادية التي ظهرت في الحضارة المصرية نذكر:

- ❖ ظهور نوع من تقسيم العمل
- ❖ استقرار الزراعة في حقول ثابتة
- ❖ تنظيم عالي للموارد المالية والبشرية
- ❖ القانون الموسوي-نسبة لسيدنا موسى عليه السلام- الذي ينظم التجارة الخارجية(شاهد، بالي، دون سنة، ص4)

حيث كان نشاط التجارة " نشاطاً ثانوياً وهامشياً، حيث يغلب على المجتمع الفرعوني طابع الاقتصاد الطبيعي الذي يعتمد على الاكتفاء الذاتي، فيما تشرف الدولة على نشاط التجارة الخارجية الذي ينحصر في استجلاب البضائع الاجنبية لحاجات الطبقة الحاكمة.(القريشي، 2008، ص 39)

## 2- الفكر الاقتصادي عند اليونان:

" لقد عدت النشاطات الاقتصادية عند اليونانيون من مشاغل الحياة الدنيا، فهي لا تستحق منهم التفاتة متخصصة، لأنهم يفضلون المضاربة الفكرية في المشكلات العقلية والأخلاقية على الاهتمام بالشؤون المادية الدنيوية" )

وهو ما جعل الكتابات في الفكر الاقتصادي اليوناني، بالإضافة إلى ذلك أنها الإغريق كانوا يعتمدون على العبيد في العملية الانتاجية التي كانت تنحصر في ذلك الوقت في الانتاج الزراعي.

ولأن التنظيم الاقتصادي يرتبط بالأساس بالتنظيم الاجتماعي، وجب أن تنطرق إلى التنظيم الاجتماعي في الحضارة اليونانية ينقسم إلى 4 طبقات اجتماعية هي:

- " طبقة الملاك الأرستقراطيين: وتتصدر قمة الهرم الاجتماعي، وهي تنظر للعمل اليدوي نظرة سخرية، تحصل على الربح العقاري دون أن تساهم في الانتاج.
- طبقة متوسطة: وهي الطبقة التي تلقي طبقة الحكام، تشمل هذه الطبقة صغار الملاك والحرفيين.

- طبقة الأجانب: وهي طبقة الأجانب المحرومين من الحقوق السياسية.
- طبقة العبيد: وهي تقع في أسفل الهرم والذين يقع على عاتقهم وحدهم العمل الانتاجي (الزراعي، صناعي، تعديني) والأعمال المنزلية وخدمة المحاربين في الحروب، لهذا كانت تجارة العبيد مريحة في ذلك الوقت" ( بالي، 2021، ص11)

أما التنظيم الاقتصادي فكانت لزراعة تمثل النشاط الاساسي والأكبر في ذلك الوقت، كما ظهرت الصناعة المتمثلة في صناعة الأسلحة والأدوات المنزلية وهو نشاط كان يقوم به الحرفيين، كما ظهرت التجارة الخارجية من أجل تلبية الحاجات الأساسية للمواطنين، وشاع استخدام النقود خاصة منها النقود الفضية.

من أعلام الفكر اليوناني نجد الفيلسوف افلاطون وتلميذه أرسطو، حيث جاءت اسهامات أفلاطون في الفكر الاقتصادي في عدة نقاط نذكر أهمها في مايلي:

- " ينادي أفلاطون بتطبيق نوع من تقسيم العمل في هذه الدولة المثلى والتي تعتبر أحد أفكاره البارزة فكل شخص يجب أن يتخصص في مهنة معينة، ويبيني أفلاطون فكرته لأهمية تقسيم العمل على حجتين هما:

- ✓ أن لكل شخص مواهبه وكفاءته الخاصة.
- ✓ أن تخصص كل شخص في المهنة التي يكون مهيناً لها بطبيعته يؤدي إلى زيادة الانتاج كما ونوعاً ويزيد من الانتاجية.
- يقسم أفلاطون المجتمع إلى ثلاثة طبقات ويتخذ من فكرة تقسيم العمل وسيلة لتقسيم المجتمع إلى طبقات وطوائف لكل منها دورها، فهو يقسم الناس إلى طبقة الحكام ومهمتها الحكم، طبقة الجنود مهمتها الدفاع عن المدينة طبقة المنتجين ومهمتها الانتاج الاقتصادي، ويميز أفلاطون بين نوعين من الملكية الخاصة ومن حيث تكوين العائلة فهو يمنع طبقة الجنود من الملكية الخاصة وتكوين عائلات بينما يتيح للمنتجين أو العمال الحرية في الامتلاك وكذا تكين عائلات.)  
فريشي، 2008، ص42)

أما بالنسبة لتلميذه أرسطو فمن أهم أفكار في الاقتصاد التي يمكن أن نلخصها في المحاور التالية:  
بالنسبة لنظريته حول القيمة حيث قسم هذه الأخير إلى:

- القيمة الاستعمالية: وهي مقدار الأهمية أو المنفعة التي يشعر بها الفرد بأن سلعة ما تنفعه كثيرا فيكون على استعداد لأن يدفع فيها ثمن مرتفع، بينما هناك من يرى بأن سلعة لا تقيده فلا يكون مستعداً لدفع نفس الثمن الذي يدفعه الأول.
- القيمة التبادلية: وهي مقدار ما يبادل بسلعة معينة مع السلع الأخرى، أي ما تحصل عليه من سلع في السوق نتيجة بمبادلة هذه السلعة بغيرها من السلع.

هذا التقسيم للقيمة يعتبر من بين أهم أفكاره في الاقتصاد حيث تعتمد عليه نظريات القيمة في الفكر الحديث.

بالإضافة إلى القيمة نجد أرسطو قد تنطرق إلى مفهوم الاحتكار حيث عرفه بأنه: انفراد بائع واحد ببيع سلعة في السوق، ولاحظ كيف يستطيع المحتكر فرض الثمن الذي يراه وكيف يحقق من وراءه أرباحاً طائلة فقرر أن الاحتكار غير عادل. كما تناول أرسطو النقود ووظائفها باعتبار النقود كوسيلة للمبادلة، وكذا لقياس القيمة وحفظها.

### 3- الفكر الاقتصادي عند الرومان:

عكس اليونانيين لم يهتم الرومان كثيرا بالأفكار الاقتصادية حيث ما وصلنا من أفكار جاءت نتيجة لتجارب الرومان ولم تكون نتيجة لأفكار الفلاسفة مثل أفلاطون وأرسطو ومن بين أهم ما جاءت به هذه التجارب من الواقع. (تلخيص لما جاء به

✓ حيث اعتمد الرمان كغيرهم من الشعوب في ذلك العصر على الزراعة حيث تعتمد هذه الأخيرة على العبيد في خدمة الأرض وبالتالي فالعبيد هم أساس الإنتاج في الحضارة اليونانية  
 ✓ الملكية الخاصة " ترك الرومان تراثا فكريا اقتصاديا وذلك من خلال القوانين التي نظموا بها الملكية الخاصة، هذه أحد المسلمات في الاقتصاد، إن ما أقر به الرومان في قوانينهم بشأن الملكية الخاصة قد استند واعتمد عليه المفكرون الذين وضعوا أساس النظام الرأسمالي.

وقد ساعد في تبني هذه الفكر بعض الظروف منها:

- ❖ اتساع الامبراطورية واستعمارها كثير من البلاد.
- ❖ ظهور طبقة كبار ملاك الأراضي الزراعية.
- ❖ ظهور طبقة كبار التجار.
- ❖ ظهور أنشطة اقتصادية جديدة بسبب الحرب

كما أسهمت هذه الظروف في سعي الإمبراطورية الرومانية إلى إقرار قوانين تحمي الملكية الخاصة، حيث كان هذه الإقرار بالملكية كان من أجل ضمان قوة الطبقة المالكة ولم تكن نتيجة لمبدأ العدل.

✓ إدارة المزرعة بشكل منظم حيث تعد وظيفة مالك العبيد مهمة في تنظيم عمل العبيد من خلال استخدامه أسلوب الترغيب والترهيب.

أخيرا يمكن القول أن الافكار الاقتصادية في العهد الروماني تركزت على النشاط الزراعي بالإضافة إلى حماية الملكية الخاصة لكبار الملاك وفقا للقوانين مكتوبة.

#### 4- الفكر الاقتصادي عند المسلمين:

تمهيد:

في الفترة التي كانت تعاني فيها أوروبا من فترة الركود أو ما تعرف بعصور الظلام، فإننا نجد الباحثين الأوروبيين يعتبرون فترة العصور الوسطى أنها فترة لم يشهد فيها الفكر الاقتصادي أي تطور،

وبذلك فهم لم يذكروا اسهامات المسلمين خلال هذه الفترة، حيث قدم الاسلام الكثير من الأفكار التي تخدم الاقتصاد بل وفصل في كثير مسائل الاقتصاد مثل: الملكية والربا ومحاربة الاحتكار وغيرها من أساسيات الاقتصاد، بالإضافة إلى الاسلام باعتباره كتاب من الكتب السماوية، فإننا نجد أيضا العلماء المسلمين قد كانت لهم اسهامات في الفكر لاقتصادي لعل أهمهم كل من ابن خلدون والمقريري وهو ما سوف نتناوله في مايلي:

### ➤ عبد الرحمن ابن خلدون:

يعتبر ابن خلدون من العلماء المسلمين الأوائل الذين ساهموا في تطور الفكر الاقتصادي "فهو أول من حدد المشكلات الاقتصادية تحديد علميا وحاول معالجتها وقد سلط أضواء التحليل على فضائل تقسيم العمل قبل آدم سميث وعلى مبدأ قيمة العمل وعلى ظاهرة الربح قبل ريكاردو كما أقام دائم نظرية السكان قبل مالتوس ونادى بالمذهب الحر قبل الطبيعيين ومن يطلع على مقدمته الشهيرة سوف يرى آراء جادة في علم الاقتصاد.

وتتعلق الآراء الاقتصادية لابن خلدون من أفكاره حول العمران البشري، فكتب حول العمل وأعطاه قيمة كبيرة، فيرى أن العمل قد يكون ظاهر وقد يكون غير ظاهر

كما يرى ابن خلدون أن رفاهية المجتمع ونمائه قد يتعرض لآفات أهمها كثرة نفقة السلطان على حوائجه الخاصة وانغماسه في نعيم الترف وهو ما يعرف اليوم بالفساد الإداري. كما تطرف إلى ما يسميه بـ: نقص عطاء السلطان والمقصود به نقص الأجور وانخفاض الدخل كسبب حقيقي في ضعف النمو الاقتصادي واصابة أسواقها بالكساد. وبين أفكار ابن خلدون أيضا تقسيم العمل حيث أن "كثرة السكان في كل مجتمع تؤدي إلى تقسيم العمل بينهم وإلى كثرة تنوع الأعمال، كما أن تقسيم العمل يعتبر ضرورة لا بد منها للآن الفرد غير قادر على اشباع حاجاته بنفسه ومن هنا وجب أن يكون الأفراد متعاونين جميعا. وهكذا فإن تزايد السكان يؤدي إلى تقسيم العمل، وأن تقسيم العمل يؤدي إلى زيادة الانتاج في المجتمع وزيادة دخولهم ويدفعهم ذلك إلى توجيه جزء من نشاطهم الانتاجي لإنتاج السلع الكمالية، ويزداد طلبهم على هذه السلع.(القريشي، ص 69)

➤ المقريري:

كان للمقريزي إسهامات مهمة في الفكر الاقتصادي حيث " تكلم المقريزي عن مقولاتي " الغلاء " ارتفاع الأسعار و "التضخم النقدي" انخفاض القوة الشرائية للوحدة النقدية، فارتفاع الأسعار هو سبب التضخم وقد يكون نتيجة له كذلك، كما أن التضخم النقدي قد يسبب ارتفاعا بالأسعار وقد يكون نتيجة له أيضا.

إن فهم المقريزي لهاتين المقولتين الاقتصاديين، حاء بهذا المنظور العلمي والمنطقي فقصور مياه النيل يسبب انخفاض عرض السلع ويؤدي إلى انخفاض القوة الشرائية للوحدات النقدية. وبالتالي انتشار الغلاء ، كما أن اجراءات الدولة في طرح كميات اضافية أو جديدة من النقد مع بقاء مستوى الانتاج على حاله يعني ارتفاع الأسعار بشكل يوازي انخفاض القوة الشرائية للوحدة النقدية.

ويربط المقريزي بين ظاهرة التضخم النقدي وبين غياب سلطة الدولة وعدم تدخلها في الأمور الاقتصادية، ويقول كذلك أن التضخم من جانب آخر قد يؤدي إلى ثراء الآخرين على حساب بعض الناس ومن أهم أسباب التضخم عند المقريزي:

- ✓ سوء إدارة الاقتصاد وانعدام الكفاءة في التخطيط
- ✓ ارتفاع ريع الأرض حيث إذا استمر هذا الارتفاع فإنه يؤدي إلى عزوف الاستثمارات عن الزراعة وبالتالي بور الاراضي الزراعية ومنها خراب الحالة الاقتصادية للمزارعين.